

العقد الثمين

بقلم: د. عبد الحميد عبد المقصود

برئاسة: د. عبد الشافي سعيد

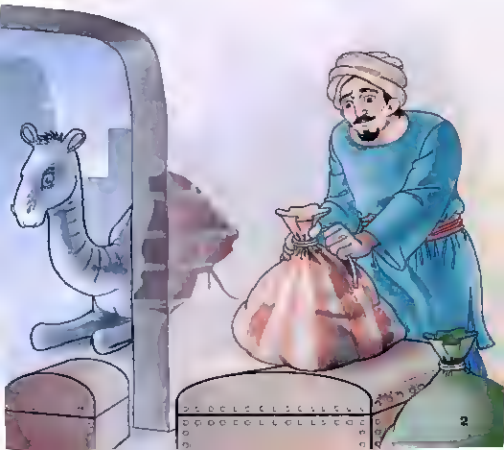
إشراف: د. حمدي مصطفى



المطبعة
المؤسسة العربية الجديدة
طبع في مصر
٢٠٠٤ - ٢٠٠٥
٢٠٠٤ - ٢٠٠٥

في عصر الدولة الإسلامية الكبرى المُتِرامِيَّة الأَطْرَاف ..
وبالتَّحْدِيد في عَهْد الخَلِيفَةِ العَبَّاسِيَّة عَصْد الدولة « حَدِثَتْ هَذِهِ
القِصَّة الطَّرِيفَةُ ..

في ذَلِكَ العَصْرِ البَعِيد كَانَ النَّاسُ يُسَافِرُونَ مِنْ بَلَدٍ إِلَى بَلَدٍ
عَلَى ظُهُورِ الدَّوَابِّ كَالْخَيْلِ وَالْحَمِيرِ وَالْبُغَالِ وَالْجُمَالِ . أَوْ
يُسَافِرُونَ فِي الْبَحْرِ عَلَى ظُهُورِ السَّفُنِ الشَّرَاعِيَّةِ ، فَلَمْ تَكُنِ السِّيَّارَاتُ



والقطارات والطائرات والسفن التي تعمل بمحركات قد
اخترعت بعد ..

وكان الناس يحملون معهم أموالهم من بلد إلى بلد ، وكانت
هذه الأموال عرضة للسرقة والضياع ، حيث لم تكن هناك
بنوك ، ولا مصارف ليحفظ الناس فيها أموالهم ، أو يحولوها إلى
البلد الذي يقصدونه ..

وفي ذلك العصر البعيد ، قرر رجل خراساني الخروج من
بلده « خراسان » قاصداً بيت الله الحرام في مكة المكرمة ؛



لأداء قريضة الحج ، وزيارة قبر الرسول ﷺ في المدينة المنورة ..
ولما كانت الأموال التي سيحملها الخراساني معه أموالاً
كثيرة وتنفق نفقات رحلته إلى الأراضي الحجازية ، فقد قرّر
أن يشتري بالأموال الزائدة عن حاجته عقداً من الماس ،
يسهل عليه أن يخفيه بين متاعه ، فلا يكون عرضة للمضاياع أو
السرقه من اللصوص وقطاع الطرق ..

اشترى الخراساني عقداً نادراً من الماس بألف دينار ذهباً ،
وألف دينار في ذلك الوقت مبلغ كبير جداً ..
مرّ الخراساني في طريقه إلى الأراضي الحجازية بمدينة
بغداد ، وهي في ذلك الوقت عاصمة دولة الخلافة ، ومدينة
من أغنى مدن العالم ، وأكثرها بهاء وثراء ..

وهناك تهيأ للسفر مع قافلة من الحجاج ، لكن الناس
حذروه من حمل هذا العقد الثمين معه ، خشية سرقته من قطاع
الطرق الذين يتربصون بالقوافل في الصحراء ، ويسطون على
الأموال والممتلكات ، فحزن الخراساني حزناً شديداً ، وندم
على تسريحه في شراء ذلك العقد الثمين من الماس ، وكاد
يلغي رحلته للحج ويعود إلى بلده ، لولا أن واثته فكرة ، وهي أن

يُشْرِكُ الْعَقْدَ الثَّمِينِ أَمَانَةً لَدَى أَحَدِ تَجَارِ بَغْدَادِ الْمُتَصَفِّينِ
بِالْأَمَانَةِ، حَتَّى يَعُودَ مِنَ الْأَرْضِ الْحِجَازِيَّةِ فَيَسْتَرِدُّهُ، عَائِدًا بِهِ
إِلَى خُرَاسَانَ ..

وَفِي ذَلِكَ الْوَقْتُ مِنَ الزَّمَنِ ، كَانَ النَّاسُ يُودِعُونَ أَمَانَاتِهِمْ لَدَى
الْمُتَصَفِّينَ بِالْأَمَانَةِ ، ثُمَّ يَعُودُونَ وَيَسْتَرِدُّونَهَا ، فِي أَيِّ وَقْتٍ شَاءُوا ..



سَأَلَ الْخُرَّاسَانِيُّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ يَنْتَصِفُ بِالْأَمَانَةِ ،
فَدَلَّهَ النَّاسُ عَلَى عِطَّارٍ مَشْهُورٍ بِالْأَمَانَةِ فِي سُوقِ بَغْدَادَ ، وَيُدْعَى
التَّاجِرُ (فَخْرُ الدِّينِ) فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِ حَامِلًا عَقْدَةَ الثَّمِينِ ، وَقَدْ لَفَّهُ
فِي قِطْعَةٍ حَرِيرٍ خَضْرَاءَ ..

كَانَ التَّاجِرُ فَخْرُ الدِّينِ جَالِسًا فِي حَانُوتِ عِطَّارَتِهِ ، فَأَلْقَى
الْخُرَّاسَانِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامَ .. ثُمَّ قَالَ :

- سَمِعْتُ الْكَثِيرَ عَنْ نِزَاهَتِكَ وَأَمَانَتِكَ وَصِدْقِكَ ...

فَقَالَ الْعِطَّارُ فِي تَوَاضُعٍ :

- هَذَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ ، فَالْأَمَانَةُ وَالصِّدْقُ هُمَا أَهَمُّ صِفَتَيْنِ يَجِبُ

أَنْ يَتَحَلَّى بِهِمَا التَّاجِرُ ..

وَأَضَافَ الْخُرَّاسَانِيُّ قَائِلًا ، وَقَدْ اسْتَوْثِقْتُ مِنْ أَمَانَتِهِ :

- لِهَذَا جِئْتُ أَسْتَوْدِعُكَ هَذِهِ الْأَمَانَةَ ، حَتَّى أَعُودَ مِنْ أَدَاءِ

مَنَاسِكَ الْحَجِّ ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْعِطَّارُ ، قَائِلًا :

- مَا الْأَمَانَةُ الَّتِي تَوَدُّ تَرْكُهَا عِنْدِي ؟

فَفَتَحَ الْخُرَّاسَانِيُّ الْكِفَافَةَ الْحَرِيرِيَّةَ ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا عَقْدَةَ الثَّمِينِ ،

قَائِلًا :

- هَذَا الْعَقْدُ ..

ونظر العطار إلى العقد ، متأملاً إياه في النهار .. ثم قال :
- عقدٌ ثمينٌ من الماس الحرّ .. لم أر في حياتي عقداً بهذه الروعة ..
فقال الخراساني :
- لقد خشيتُ عليه من السرقة أو الضياع في الطريق ، ولهذا
جئتُك به ؛ لتحفظه لي حتى أعود ..
فقبِلَ العطار قائلاً :
- حجٌّ مبرورٌ وذنبٌ مغفورٌ إن شاء الله يا أخي .. اذهب سالماً ،



وَعَدَ سَالِمًا ، وَلَا تَخْشَ عَلَى عَقْدِكَ شَيْئًا ، فَهُوَ فِي الْحِفْظِ
وَالصَّوْنِ ، وَتَسْتَطِيعُ أَنْ تَسْتَرِدَّهُ فِي أَيِّ وَقْتٍ نَشَاءُ ..
فَشَكَرَهُ الْخُرَّاسَانِيُّ ، وَاسْتَأْذَنَ فِي الْأَنْصِرَافِ ، حَتَّى يَلْحَقَ
بِالْقَافِلَةِ الْمُسَافِرَةِ إِلَى مَكَّةَ الْمُكْرَمَةِ لِأَدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ ..
أَمَّا الْعِطَارُ الْمُتَصَفِّ بِالْأَمَانَةِ ، فَقَدْ أَخَذَ يُقَلِّبُ الْعَقْدَ بَيْنَ يَدَيْهِ ،
وَيَنْظُرُ إِلَيْهِ بِاعْتِجَابٍ ، وَهُوَ يَقُولُ لِنَفْسِهِ :
- هَذَا عَقْدٌ نَادِرٌ وَلَا يُوجَدُ فِي سُوقِ بَغْدَادَ كُلِّهَا عَقْدٌ مِثْلُهُ ..



لَوْ أَنَّنِي أَمْتَلِكُ عَقْدًا مِثْلَهُ ١٩

ثُمَّ لَفُ الْعَطَارُ الْعَقْدَ فِي لِفَافَتِهِ ، وَوَضَعَهُ مَعَ بَقِيَّةِ الْأَمَانَاتِ ..
مَضَتْ أَيَّامٌ وَأَسَابِيْعٌ وَشُهُورٌ ، وَالْعَقْدُ الثَّمِينُ مُودَعٌ فِي خَزَانَةِ
الْعَطَارِ ، الَّذِي وَسَّوسَ لَهُ الشَّيْطَانُ بِخِيَانَةِ الْأَمَانَةِ وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى
الْعَقْدِ ، وَظَلَّ يُوسَّسُ لَهُ لَيْلَ نَهَارٍ ، حَتَّى ضَعُفَتْ نَفْسُهُ وَنَاقَ إِلَى
خِيَانَةِ الْأَمَانَةِ ، وَالْاِسْتِيلَاءِ عَلَى الْعَقْدِ ...



وَذَاتَ يَوْمٍ عَادَ الْخُرَاسَانِيُّ مِنَ الْحَجِّ ، فَتَوَجَّهَ إِلَى حَانُوتِ
الْعِطَارِ فَخَرَّ الدِّينَ ، فَالْقَى عَلَيْهِ السَّلَامَ .. ثُمَّ تَقَدَّمَ مِنْهُ مُصَافِحًا
فِي حِرَارَةٍ ، وَقَالَ لَهُ :

- أَبُيَا الْعِطَارُ الْأَمِينُ الصَّدُوقُ ، لَمْ أَجِدْ مَا أُعِيرُ لَكَ بِهِ عَنْ مَدَى
شُكْرِي وَتَقْدِيرِي لِأَمَانَتِكَ ، سَوَى هَذِهِ الْهَدِيَّةِ الْمُتَوَاضِعَةِ ،
وَأَرْجُو أَنْ تَقْبِلَهَا مِنِّي ..

وَقَدَّمَ لَهُ عِبَاءَةً مِنَ الصُّوفِ .. وَبِرَغْمِ أَنْ الْعِطَارَ فَخَرَّ الدِّينَ قَدْ
تَعَرَّفَهُ مِنْذُ الْوَهْلَةِ الْأُولَى ، إِلَّا أَنَّهُ تَظَاهَرَ بِعَدَمِ مَعْرِفَتِهِ لَهُ ، وَقَالَ :

- أَقْبِلْهَا مِنْكَ بِأَبَةٍ مُنَاسِبَةٍ ، وَأَنَا لَمْ يَسْبِقْ لِي مَعْرِفَتُكَ ، أَوْ

التَّعَامُلُ مَعَكَ ؟

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ مُعْرِفًا نَفْسَهُ :

- أَنَا صَاحِبُ الْعَقْدِ ..

فَقَالَ الْعِطَارُ :

- أَيْ عَقْد ؟

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ مُذَكِّرًا إِيَّاهُ :

- الْعَقْدُ الْمَاسِي ، الَّذِي أَوْدَعْنَاهُ أَمَانَةً لَدَيْكَ ، حَتَّى أَعُودَ مِنْ

آدَاءِ فَرِيضَةِ الْحَجِّ .. لَقَدْ عَدْتُ لِأَسْتَرِدَّهَ .. ففَالَ الْعِطَارُ

مَتَهَكِّمًا :

- أَنَا لَا أَعْرِفُكَ ، وَلَا أَفْهَمُ عَنْ أَيْ شَيْءٍ تَتَحَدَّثُ ؟

فقال الخُراساني :

-العقد الذي كان ملفوفاً في قماشة خضراء .. تذكر يا أخي
فهذا العقد كل ما تبقى لي من مال ، وأنا أريد العودة إلى بلدي ..
وظل الخُراساني المسكين يذكر العطار ، لكن العطار ظل
على إنكاره حتى صاح مُهدداً :



- جئني بهدية تافهة ، لندعي على بعقد ثمين أيها اللص
المخادع .. اغرب عن وجهي ، وإلا حطمت رأسك ..

وتجمع بعض التجار من أصحاب الحوانيت في سوق بغداد
لفض المشاجرة بينهما ومعرفة ما حدث ، فقال العطار :

- ذلك اللص المخادع يدعي أنه أعطاني عقداً ثميناً لأحفظه له
على سبيل الأمانة ، وجاء ليسترده ..

وشرح لهم الخراساني المسكين قصة العقد من البداية إلى
النهاية ، لكن أحداً لم يصدق .. فالجميع يعرفون أن العطار
موصوف بالصدق والأمانة ، ولا يمكن أن يطمع في أي شيء ،
حتى لو كان عقداً من الماس ، وهم لا يعلمون أن الشيطان قد
وسوس له بالاستيلاء على العقد ..

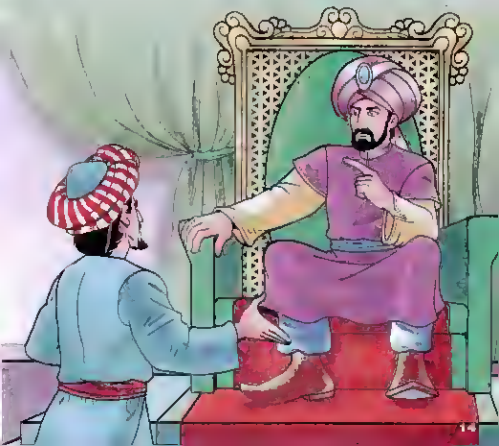
وتعاون الجميع على طرد الخراساني المسكين ، حتى
لا بشوة بصباحه سمعة العطار المشهور بالأمانة ، فجلس
المسكين في ركن خارج السوق ، وأخذ يكي حظه النعس الذي
أوقعه في ذلك العطار .. وراح يفكر في طريقة بحصل بها على
نقود ليعود بها إلى يلد ، بعد أن طرده العطار عدة مرات ،
ويش من إعادة العقد ..

وبينما هو على هذه الحال ، أشفق عليه بعض الناس وسألوه

عن سبب حزنه وبكائه ، فقص عليهم الخراساني قصته ،
فنصحه بعضهم أن يتوجه إلى قصر الخليفة عضد الدولة ، الذي
اشتهر بذكائه ، وإقراره العدل بين الناس ، فهو الوحيد في هذه
المدينة الذي يستطيع حل غموض اللغز ، وإعادة العقد إليه .
توجه الخراساني إلى قصر الخلافة في بغداد ، محاولاً



الدخول لمقابلة عضد الدولة ، أكثر من مرة ، لكن الحراس في كل مرة كانوا يدفعونه بعيدا ، ويمتنعونه من دخول القصر ..
وفي النهاية كتب الخراساني قصته مع العطار في رقعة وقدمها لرئيس الحراس ، متوسلا إليه أن يقدمها للخليفة ..
قرأ الخليفة عضد الدولة قصة الخراساني مع العطار ، الذي



استَوَلَى عَلَى عَقْدِهِ الثَّمِين ، وصاح مُنَادِيًا الْحَاجِبَ ، فلمَّا مَثَلَ
بَيْنَ يَدَيْهِ قَالَ لَهُ :

- أَدْخِلْ ذَلِكَ الْخُرَاسَانِيَّ صَاحِبَ الشُّكُورَى ..

فسارعَ الْحَاجِبُ بِإِدْخَالِ الْخُرَاسَانِيَّ ، فلمَّا وَقَفَ أَمَامَ عَصَدِ
الدُّوْلَةِ مَالَهُ قَائِلًا :

- حِينَ أَوْدَعْتَ الْعَقْدَ أَمَانَةً لَدَى الْعِطَّارِ فَخَرِ الدِّينَ ،
هَلْ أَخَذْتَ مِنْهُ صَكًّا يُفِيدُ أَنَّكَ سَلِمْتَهُ الْعَقْدَ ؟!

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- لا ..



فقال عضد الدولة :

- هل يوجد شهود يشهدون أنك سلمته العقد ؟ !

فقال الخراساني :

- لا .. ولكنني أقسم إنني سلمته العقد على سبيل الأمانة ..

فقال عضد الدولة :

- سآرى من الصادق منكما ومن الكاذب ..

فقال الخراساني :

- وفق الله الخليفة لإظهار الحق ..

فقال عضد الدولة :

- اذهب غدا إلى حانوت العطار فخر الدين ، واجلس أمامه ..

فقال الخراساني :

- سينهرني ويطرُدني ، كما طردني من قبل ..

فقال عضد الدولة :

- إذا طردك ، فاحرص على أن تجلس في الجهة المقابلة

لحانوته ، وواظب على الجلوس هناك ثلاثة أيام متتالية ، فإن

أعاد إليك العقد ، فتعال وأخبرني بما حدث ..

فقال الخراساني :

- فإذا لم يعطني العقد ؟ !

فقال الخليفة :

- في اليوم الرابع سوف أمرُ عليك في موكبي ، وألقي عليك السلام ، فإياك أن تنهض لي ..

فقال الخراساني فستنكرا :

كيف لا أنهضُ احتراماً لك ، وأنت خليفة المسلمين ، وليس في الدولة كلها من هو أرفع مكاناً منك ؟



فَقَالَ الْخَلِيفَةُ :

- نَفَّذْ مَا أَقُولُ لَكَ .. إِيَّاكَ أَنْ تَنْهَضَ لِي ، وَلَكِنْ رُدَّ عَلَى السَّلَامِ ،
وَأَجِبْنِي عَمَّا أَسْأَلُكَ عَنْهُ وَأَنْتَ جَالِسٌ فِي مَكَانِكَ ..
وَبَعْدَ أَنْصَرَفَ إِلَى عُدَّتِهِ إِلَى الْعِطَارِ وَاطْلَبَ مِنْهُ عَقْدَكَ مَرَّةً أُخْرَى .. ثُمَّ
تَعَالَى إِلَيْنَا وَأَخْبَرَنِي بِمَا حَدَثَ ..



فَقَالَ الْخُرَّاسَانِيُّ:

- سَمِعَا وَطَاعَةً أُيُّهَا الْخَلِيفَةُ ..

وَفِي الْيَوْمِ التَّالِي تَوَجَّهَ الْخُرَّاسَانِيُّ إِلَى حَانُوتِ الْعُطَّارِ، وَحَاولَ
أَنْ يَجْلِسَ أَمَامَهُ كَمَا أَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ فَذَهَبَ الْعُطَّارُ وَطَرَدَهُ ، وَحَاولَ
الْإِعْتِدَاءَ عَلَيْهِ بِالنَّصْرُب ..

فَذَهَبَ الْخُرَّاسَانِيُّ إِلَى الْجِهَةِ الْمُقَابِلَةِ لِحَانُوتِ الْعُطَّارِ وَجَلَسَ
كَمَا أَمَرَهُ الْخَلِيفَةُ مِنَ الصَّبَاحِ إِلَى الْمَسَاءِ بِحَيْثُ يَرَاهُ
الْعُطَّارُ طَوَالَ الْوَقْتِ ..



ولكن العطار لم يرق قلبه له ، أو يشفق عليه ، فبعيد إليه
عقده ، حتى يعود إلى بلده ..

وقد راطب الخراساني على ذلك ثلاثة أيام متتالية ..

وفي اليوم الرابع ، سمع الناس في السوق صياحا وضوضاء
وجلبة .. وسرعان ما ظهر العسكر والحراس ، وهم يوسعون
الطريق لمروءة الخليفة عضد الدولة في موكب الفخم يحيط به
الوزراء وكبار رجال الدولة ..

استمر موكب عضد الدولة في سيره داخل السوق ، والتجار
يخرجون من حوانيتهم احتراماً له ، حتى وصل إلى حانوت
العطار ، فلمح الخراساني جالساً في الجهة المقابلة ، فتوجه
إليه مرحباً به :

- من أرى ؟! صديقي أبا خالد الخراساني ؟! كيف حالك
يا أخي ؟!

فلم يتحرك الخراساني من مكانه ، ورد عليه قتيلاً :

- أحمد الله على كل حال ..

- فقال عضد الدولة :

- أنا عائب عليك يا أبا خالد .. كيف تأتي بلدنا بغداد
ولا تفكر في زيارتي والنزول على ضيفي في قصري ، كما

كَانَ يَحْدُثُ مِنْ قَبْلُ ١٩

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ ٢٠

- مَعْنَى مِنْ زِيَارَتِكَ بَعْضُ الْمَشَاغِلِ فِي بَغْدَادَ .. عِنْدَمَا أَنْتَهَى

مِنْهَا سَوْفَ أَمُرُ عَلَيْكَ ..

فَقَالَ عَضُدُ الدَّوْلَةِ :

- أَنَا فِي انْتِظَارِكَ يَا أَخِي ، فَلَا تَتَأَخَّرْ عَلَيَّ ..

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ :

- إِنْ شَاءَ اللَّهُ ..



وَاتَّعَدَ الْخَلِيفَةُ فِي مَوْكِبِهِ ، وَكَانَ الْعَطَارُ فَخْرَ الدِّينِ يُرَاقِبُ
مَا يَحْدُثُ ، وَيَسْتَمِعُ إِلَى مَا دَارَ بَيْنَ الْخَلِيفَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ
وَالْخُرَاسَانِيِّ فِي رُغْبٍ ..

فَلَمَّا رَأَى الْخَلِيفَةُ يَنْصَرِفُ اقْتَرَبَ مِنَ الْخُرَاسَانِيِّ وَخَاطَبَهُ
فِي احْتِرَامٍ قَائِلًا :

- مِنْ فَضْلِكَ يَا أَخِي ..

فَنَظَرَ إِلَيْهِ الْخُرَاسَانِيُّ مُتَعَجِّبًا ، وَقَالَ :

- نَعَمْ أَيُّهَا الْعَطَارُ ..

فَقَالَ الْعَطَارُ :

- ذَكَرْتَنِي مَرَّةً أُخْرَى بِالْعَقْدِ الَّذِي أَوْدَعْتَهُ عِنْدِي ، فَإِنْ ذَاكَرْتَنِي

ضَعِيفَةً ، وَمُنْذُ طَالَبْتَنِي بِهِ وَأَنَا أَحَاوِلُ أَنْ أَتَذَكَّرَ أَيْنَ وَضَعْتَهُ ،

لَكِنْ ذَاكَرْتَنِي تَأْبِي إِلَّا أَنْ تَخَذِلَنِي ..

وَأَعَادَ الْعَطَارُ الْعَقْدَ الثَّمِينِ لِلْخُرَاسَانِيِّ ، فَذَهَبَ بِهِ فِي الْحَالِ

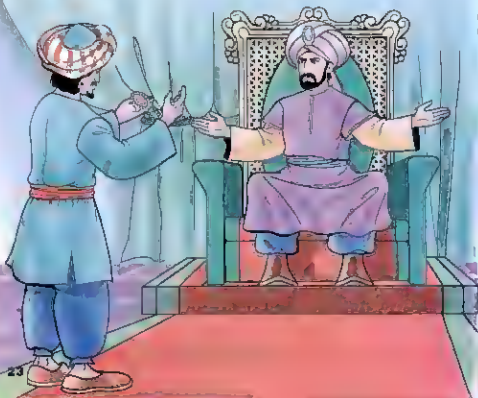
إِلَى الْخَلِيفَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، الَّذِي نَظَرَ إِلَيْهِ قَائِلًا :

- هَا قَدْ عَادَ إِلَيْكَ عَقْدُكَ الثَّمِينُ أَيُّهَا الْخُرَاسَانِيُّ ..

فَقَالَ الْخُرَاسَانِيُّ فِي تَأَدُّبٍ :

- الفضلُ لله الذي ألهمك هذه الحيلة الدكيّة ، وإلا ضاع عقدي
ولم أستطع استرداداً من ذلك العطار الذي خان الأمانة ...
فقال عضد الدولة :

- خذْ عقدك وعُدْ إلى بلدك سالماً .. أما ذلك العطار ، الذي
انسن فخان ، فسوف يكون لي معه شأن آخر .. وأمر الخليفة



عَضُدُ الدَّوْلَةِ رَئِيسُ الحُرَّاسِ أَنْ يَتَّجِهَ إِلَى سُوْقِ بَغْدَادَ ، وَأَنْ
يَقْطَعَ يَدَ العَطَّارِ الخَائِنِ لِلأَمَانَةِ ؛ لِيَكُونَ عِبْرَةً لِمَنْ تُسَوَّلُ لَهُ
نَفْسُهُ حِيَانَةُ الأَمَانَةِ مَرَّةً أُخْرَى ..

وهكذا عاد العَقْدُ الثَّمِينُ لصاحبه الخُرَّاسَانِيُّ ، بِفَضْلِ حِيلَةٍ
وَذَكَاءِ الخَلِيفَةِ عَضُدِ الدَّوْلَةِ ، وَإِصْرَارِهِ عَلَى إِقْرَارِ الحَقِّ
وَالْعَدْلِ بَيْنَ النَّاسِ ...

(تَمَّتْ)